الاستغفار في حياة الدعاة

تأليف

أ.د. محمد بن إبراهيم بن سليمان الرومي
الأستاذ في كلية المعلمين بجامعة الملك سعود

مصدر هذه المادة :





المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد:

فإنَّ الاستغفار من أكبر محطات التوقّف الإيجابي في حياة العظماء، الذين لا ينقطع رجاؤهم بالله تعالى، ولا تنتهي علاقتهم به، ولا يستمرون في خطئهم ونقصهم، لكنهم سرعان ما يتذكرون فيرجعون إلى الله، يلهج لسانهم دومًا بالاستغفار حتى ولو لم يذنبوا أو يقصّروا، قدوتهم في ذلك نبيُّ الأنام ﷺ، فإنّ لسانه كان دومًا رطبًا بذكر الله وباستغفاره، لأنَّ الاستغفار زادٌ للعبد يستحق من خلاله رضوان الله وعطاءاته الدنيويَّة والاخرويَّة.

إنَّ الدعاة إلى الله بحاجة ماسة في أن يكون في حياتهم مساحات عالية للاستغفار لكونه ينظف القلب، ويطهر اللسان، ويقوّي العمل، ويصحح المسار، بل يعين الداعية على الإثمار في مجال جذب المدعوين إلى ساحل النجاة والفضيلة .

الاستغفار بريد إلى الخير وإلى العودة إلى الله، لأن المعاصي سبب لجميع البلايا والمصائب فإنه ما نزلت بلية إلا بذنب، وما رفعت إلا بتوبة وندم واستغفار، والداعية الناجح المؤمن هو الذي يدرك هذه الحقيقة ليعفو الله عن السيئات ويرفع من خلاله الدرجات، ومما لا يخفى فإنّ الاستغفار يعين الداعية لتكون دعوته مستجابة،

وبالاستغفار يأمن العبد غضب الجبّار، بل وتحصل بسببه مغفرة الذنوب.

وقد سعيت جاهداً بفضل الله وتوفيقه على أيضاًح هذه النقاط والمسائل مدعومة بالأدلة الشرعية، لنسهم في ربط الدعاة والعاملين في مجال نفع الآخرين وعموم المثقفين ما ينبغي عليهم فعله إذا ما وقعوا في هنة، أو رغبوا أن يترقوا في درجات الخير، ومراتب الإيمان، سائلًا الله عز وجلَّ أن يلهمنا رشدنا، وأن يعيدنا إلى صوابنا، وأن يجعلنا ممّن يفزع إلى الاستغفار في كل حين وآن .. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

****

المبحث الأول

مفهوم الاستغفار وعلاقته بالتوبة

الاستغفار في اللغة:

من (غَفَرَ) يغفر غَفرًا، والغفر: التغطية، قال الفيروز آبادي: (غَفَرَهُ يَغْفِرُهُ: سَتَرَهُ، والمتاع في الوِعاءِ: أدْخَلَهُ وستَرَهُ، ك أغْفَرَهُ، والشَّيْبَ بالخِضابِ: غَطَّاهُ وغَفَرَ اللهُ له ذَنْبَه يَغْفِرُهُ وغِفْرَةً حَسَنَةً، بالكسر، ومَغْفِرَةً وغُفُورًا وغُفْرانًا، بضمهما، وغَفِيرًا وغَفِيرَةٌ:غَطَّى عليه، وعَفا عنه. واسْتَغْفَرَهُ من ذَنْبِهِ واسْتَغْفَرَهُ إياهُ: طَلَبَ منه غَفْرَهُ . والغَفُورُ والغَفَّارُ: من صفاتِ اللهِ تعالى)[(١)].

وقال ابن فارس: (الغين والفاء والراء عُظْمُ بابه السَّتْر، ثم يشذُّ عنه ما يُذكر . فالغَفْر: السَّتر، والغُفْران والغَفْرُ بمعنى . يقال: غَفَر الله . ذنبه غَفْرًا ومَغفِرةً وغفرانًا)[(٢)].

وقال الراغب الأصفهاني: (الغَفْرُ إِلْبَاسُ ما يَصُونُهُ عَن الدَّنَس ومنه قيلَ:اغْفِرْ ثَوْبَكَ في الوِعَاءِ وَاصْبُغْ ثَوْبَك فإنّهُ أَغْفَرُ لِلْوَسخ، والْغُفْرَان

---

(١) انظر: القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ١٤٦/٢ ، مادة: (غفر) .

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة ، ابن الفارس ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ٣٨٥/٤ ، مادة: (غفر) .

وَالمَغْفِرَةُ من اللهِ هو أنْ يَصُونَ العَبْدَ منْ أَنْ يَمَسّهُ العَذابُ . والاسْتِغْفَارُ طلبُ ذلك بالمقال والفِعَال)[١]

وفي الصباح المنير: (غَفَرَ الله له غَفْرًا، من باب ضرب، وغُفرانًا: صَفحَ عنه، والمغفرة:اسم منه . واستغفرت الله: سألته المغفرة . واغْتفرتُ للجاني ما صنع . وأصل الغَفْر: السَّتر . ومنه يقال: الصَّبغ أغْفرُ للوسخ، أي: أستر)[٢].

ومن خلال ما سبق من كلام أهل اللغة، اتضح بأن الاستغفار من الغفر بمعنى: الستر والتغطية، وهذا معنى اللفظ في أصله.

الاستغفار في الشرع:

أما الاستغفار في الشرع فإنه أشمل وأكبر من مجرد الستر، بل هناك معنى زائد على ذلك .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: (الاستغفار من الغفران، وأصله الغفر وهو إلباس الشيء ما يصونه عما يدنسه، وتدنيس كل شيء بحسبه، والغفران من الله للعبد أن يصونه عن العذاب)[٣].

---

(١) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ص ٣٦٤.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن علي الفيومي ص ٣٦٦ مادة: (غفر) .

(٣) فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني ١٠٦/١١

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: (الاستغفار المفرد كالتوبة، بل هو التوبة بعينها،مع تضمنه طلب المغفرة من الله، وهو محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره، لا كما ظنه بعض الناس: أنها الستر . فإن الله يستر على من يغفر له ومن لا يغفر له، ولكن الستر لازم مسماها أو جزؤه، فدلالتها عليه إما بالتضمن وإما باللزوم .

وحقيقتها: وقاية شر الذنب، لما يقي الرأس من الأذى، والستر لازم لهذا المعنى، وإلا فالعمامة لا تسمى مِغْفَرًا، ولا القبع ونحوه مع ستره، فلا بد في لفظ "المغفر" من الوقاية، وهذا الاستغفار هو الذي يمنع العذاب في قوله: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[١] . فإن الله لا يعذب مستغفرًا)[٢]

فالاستغفار شرعًا هو: طلب محو الذنب، وإزالة أثره، ووقاية شره[٣].

وزاد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا التعريف توضيحاً حيث قال: (الاستغفار: طلب المغفرة، والمغفرة هي وقاية شر الذنب . والمغفرة شيء زائد على الستر ؛ لأن المغفرة معناها وقاية شر الذنب بحيث لا يعاقب عليه العبد، فمن غفر ذنبه لم يعاقب عليه، وأما مجرد

---

(١) سوره الأنفال ، الآية: ٣٣

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن القيم ٢٣١/١ .

(٣) المرجع السابق ٢٣١/١ .

ستره فقد يعاقب عليه في الباطن، ومن عوقب على الذنب باطنًا أو ظاهرًا فلم يغفر له،وإنما يكون غفران الذنوب إذا لم يعاقب عليه العقوبة المستحقة بالذنب)[١].

العلاقة بين التوبة والاستغفار:

إن لفظ التوبة يقرن دائماً بالاستغفار، والاستغفار كذلك دائمًا يقرن بالتوبة، ولبيان العلاقة بين التوبة والاستغفار، فلا بد من بيان المراد بالتوبة .

قال الراغب الأصفهاني: (التوبُ: تَرْكُ الذّنْبِ على أَجْمَلِ الْوُجُوهِ، وهو أَبْلَغُ وُجُوهِ الاعْتِذَارِ، فَإِنّ الإعْتِذَارَ على ثَلاثَةِ أَوْجهٍ: إمَّا أَنْ يَقُولَ المِعْتَذِرُ لم أَفْعَلْ، أو يقولَ: فعلتُ لأَجلِّ كذا، أو فَعَلْتُ وأسأت وقد أَقْلَعْتُ ولا رابع لذلك، وهذا الرابع هُوَ التوْبَةُ)[٢]

التوبة: هي الإقلاع عن عمل ذنب، والعزم على أن لا يعود إليه [٣].

وقيل: هي ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يُتدارك من الأعمال بالإعادة [١].

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، عبدالرحمن بن قاسم ١٠/ ٣١٧ .

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ص ٨٣ ، (مادة: توب)

(٣) التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ١١/ ٣١٧ .

قال ابن القيم رحمه الله: (هي الرجوع إلى الله بالتزام فعل ما يحب وترك ما يكره)[٢].

وقيل: هي الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب ثم القيام بكل حقوق الرب[٣].

والتوبة النصوح قد اختلفت عبارات السلف في بيانها، فمن ذلك[٤]: قول عمر بن الخطاب وأبي بن كعب رضي الله عنه: (التوبة النصوح: أن يتوب من الذنب ثم لا يعود إليه، كما لا يعود اللبن إلى الضَّرع).

وقول الحسن البصري رحمه الله: (هي أن يكون العبد نادماً على ما مضى مجمعًا على أن يعود فيه).

وقول الكلبي رحمه الله: (أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن) .

وقول سعيد بن المسيب: رحمه الله (توبة نصوحًا تنصحون بها أنفسكم) جعلها بمعنى ناصحة للتائب .

---

(١) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، تحقيق: محمد سيد كيلاني ص ٨٣ .

(٢) مدراج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن القيم ١/٢٣٠ .

(٣) التعريفات ، الجرجاني ، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة ص ٧٠ .

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن القيم ١/ ٥٤٥ – ٥٤٦ .

فالتوبـة النصـوح مـن الـذنب هـي توثيـق العـزم علـى أن لا يعـود لمثله[1].

وعلى هـذا فالتوبـة والاستغفار لفظـان يشـتركان في المعنى فيعطـي واحد منهما معنى الآخر وذلك عند افتراقهما. أما عند الاقتران فإن لكل واحد منهما معنى خاص .

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (والاستغفار يتضمن التوبة، والتوبة تتضـمن الاسـتغفار، وكـل منهمـا يـدخل في مسـمى الآخـر عنـد الإطلاق.

وأما عند اقتران إحدى اللفظتين بالأخرى فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله . فها هنا ذنبان: ذنب قد مضى فالاستغفار منه طلـب وقايـة شـره . وذنـب يخـاف وقوعـه، فالتوبـة العـزم علـى أن لا يفعله. والرجوع إلى الله يتناول النوعين: رجوع إليه ليقيه شر ما مضى، ورجوع إليه ليقيه شر ما يستقبل من شر نفسه وسيئات أعماله .

فهـا هنـا أمـران لا بـد منهمـا: مفارقـة شـيء، والرجـوع إلى غـيره . فخصـت "التوبـة" بـالرجوع، و"الاسـتغفار" بالمفارقـة . وعنـد إفـراد أحدهما يتناول الأمرين، ولهذا جاء – والله أعلـم – الأمر بهما مرتبا

(١) التعريفات الجرجاني ، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة ص ٧٠

بقوله: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾[(١)]، فإنه الرجوع إلى الطريق الحق بعد مفارقه الباطل .

وأيضاً فالاستغفار من باب إزاله الضرر، والتوبة طلب جلّب المنفعة . فالمغفرة أن يقيه شر الذنب . والتوبة أن يحصل له بعد هذا الوقاية ما يحبه . وكل منهما يستلزم الآخر عند إفراده[(٢)].

وأفضل الاستغفار ما اقترن به ترك الإصرار، وهو حينئذ توبة نصوح[(٣)].

وأما الإصرار وهو الاستقرار على المخالفة، والعزم على المعاودة، وذلك ذنب آخر، لعله أعظم من الذنب الأول بكثير، وهذا من عقوبة الذنب أنه يوجد ذنبًا أكبر منه، ثم الثاني كذلك، ثم الثالث كذلك، حتى يستحكم الهلاك[(٤)].

****

---

(١) سورة هود ، الآية: ٣

(٢) مدراج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن القيم ١/ ٢٣١ -٢٣٢

(٣) جامع العلوم والحكم ، ابن رجب ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس ٢/ ٤١٠

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن القيم ١/ ٣٣٨

المبحث الثاني

دعوة القرآن الكريم والسنة النبوية إلى الاستغفار

دلت الكثير من النصوص الشرعية في الكتاب والسنة على ضرورة التزام الاستغفار، والمداومة عليه، وعدم تركه، وأورد ذلك فيما يلي:

أولًا: دعوة القرآن الكريم إلى الاستغفار:

وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم في الحث على الاستغفار وفي ذلك دلالة واضحة على أهمية طلب العبد المغفرة من ربه ليستر عيوبه ويعفو عن سيئاته ويجنبه عقوبته، فمن تلك الآيات الواردة في هذا الصدد:

١/ آيات ورد فيها التوجيه للنبي ﷺ بطلب المغفرة من ربه جلَّ وعلا لنفسه أو للمؤمنين، من ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ** ﴾[1].

قال الإمام الطبري رحمه الله: ("واستغفر لذنبك ": أي: سَلْهُ غفران ذنبك، وعفوه لك عنه)[2].

---

(١) سورة غافر ، الآية:٥٥

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن ، الطبري ، تحقيق: أ.د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٢٠ / ٣٤٨.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: (قوله "واستغفر لذنبك"، هذا تهييج للأمة على الاستغفار)[١].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: (واستغفر لذنبك المانع لك من تحصيل فوزك وسعادتك، فأمره بالصبر الذي فيه يحصل المحبوب، وبالاستغفار الذي فيه دفع المحذور، وبالتسبيح بحمد الله تعالى خصوصًا)[٢].

وقوله تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾[٣].

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في معنى الآية: ("واستغفر لذنبك " أي: اطلب من الله المغفرة لذنبك، بأن تفعل أسباب المغفرة من التوبة والدعاء بالمغفرة، والحسنات الماحية وترك الذنوب، والعفو عن الجرائم . واستغفر للمؤمنين والمؤمنات فإنهم – بسبب إيمانهم – كان لهم حق على كل مسلم ومسلمة)[٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٥١/٧ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ عبدالرحمن السعدي ، تحقيق: د .عبدالرحمن اللويحق ص ٧٠٦ .

(٣) سورة محمد ، الآية: ١٩ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ عبد الرحمن السعدي ، تحقيق: د. عبد الرحمن اللويحق ص ٧٥٣

وقال الشيخ أبو بكر جابر الجزائري رحمه الله في معنى الآية: (أي: فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي له العبادة وتصلح له إلا الله الذي هو خالق كل شيء ومالكه، واستغفر أي: اطلب من ربك المغفرة لك وللمؤمنين والمؤمنات، وهذا الكلام وإن وجه للرسول ﷺ فالمراد منه على الحقيقة أو بالأصالة غيره ﷺ فكأنما قال تعالى: يا عباد الله، أيها الناس والرسول على رأسكم اعلموا أنه لا إله إلا الله واستغفروا لذنوبكم مؤمنين ومؤمنات)[١].

وقوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾[٢].

٢/ آيات أثنى الله فيها على خيار عباده وذكر من أوصافهم بأنهم يستغفرون في الأسحار أي في آخر الليل، وذلك بعد عبادتهم لربهم ويرون أنهم مقصرون فيسألون الله المغفرة، هذا في مثل قوله تعالى : ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾[٣].

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، أبو بكر جابر الجزائري ٥/٨١ -٨٢ .
(٢) سورة النصر ، الآية: ٣ .
(٣) سورة آل عمران ، الآية: ١٧

وقوله تعالى: ﴿ **وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾[١].

٣/ آيات وردت فيها دعوات صريحة من الله جلَّ وعلا للذين ظلموا أنفسهم من عباده واقترفوا السيئات، تعلّمهم وتخبرهم بأن باب المغفرة مفتوح وأن عفوه جلَّ وعلا كبير، يغفر لهم إذا استغفروا ثم يرحمهم ويرضى عنهم .

قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾[٢].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: (أي إذا صدر منهم ذنب أتبعوه بالتوبة والاستغفار)[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**إن رجلًا أذنب ذنبًا فقال: رب إني أذنبت ذنبًا فاغفره، فقال الله عز وجلَّ: عبدي عمل ذنبًا فعلم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدي، ثم عمل ذنبًا آخر فقال : رب إني عملت ذنبًا فاغفره، فقال تبارك وتعالى: علم عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدي، ثم عمل ذنبا آخر فقال: رب إني عملت ذنبًا**

---

(١) سورة الذاريات ، الآية: ١٨

(٢) سورة آل عمران ، الآية: ١٣٥ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة ١٢٣/٢ .

فاغفره لي، فقال الله عز وجلَّ:علم عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدي ثم عمل ذنبا آخر فقال رب، إني عملت ذنبا فاغفره، فقال عز وجلَّ عبدي علم أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به، أشهدكم أني غفرت لعبدي فليعمل ما شاء»[١].

وقال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا** ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا** ﴾[٣].

قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسير الآية: (يعني بذلك جلَّ ثناؤه: ومن يعمل ذنباً — وهو السوء — أو يظلم نفسه بإكسابه إياها ما يستحقّ به عقوبة الله، " ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ الله يقول: ثم يتوب إلى الله بإنابته مما عمل من السوء وظلم نفسه، ومراجعة ما يحبه الله من الأعمال الصالحة

(١) أخرجه البخاري ، كتاب: التوحيد ، باب: قول الله تعالى: "يريدون أن يبدلوا كلام الله " ، رقم ٥٧٠٧، ومسلم ، كتاب: التوبة ، باب: قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة ، رقم ٢٧٥٨ ، من طريق إسحاق بن عبد الله به ، وأحمد في المسند ٢٩٦/٢

(٢) سورة النساء ، الآية:٦٤ .

(٣) سورة النساء ، الآية:١١٠

التي تمحو ذنبه وتذهب جُرمه، " يَجِدِ الله غَفُورًا رَّحِيمًا يقول: يجد ربه ساترا عليي ذنبه بصفحه له عن عقوبته جرمه، رحيماً به)[1].

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[2].

٤/ آيات دعا فيها الأنبياء أقوامهم إلى الاستغفار مخبرين بوعد الله لهم بالمغفرة و الرحمة، وذلك في مثل قوله تعالى في خطاب نبي الله هود عليه السلام إلى قومه: ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾[3].

وقوله تعالى على لسان نبيه شعيب عليه السَّلام لقومه: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾[4].

---

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن ، الطبري ، تحقيق: أ.د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ٧/٤٧٤ -٤٧٥

(٢) سورة المائدة ، الآية:٧٤

(٣) سورة هود ، الآية: ٥٢

(٤) سوره هود ، الآية:٩٠

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجلَّ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾[1] .

وقوله تعالى على لسان نوح عليه السَّلام لقومه: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾[2] .

٥/ آيات ورد فيها استغفار الملائكة لأهل الأرض ليفوزوا بالمغفرة من ربهم عما يصدر منهم مما لا يليق بعظمه الله و كبريائه، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ

---

(١) سورة هود ، الآية: ٣

(٢) سورة نوح ، الآية: ١٠

(٣) سورة الشورى ، الآية: ٥.

شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾[1] .

فقد أشار الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله إلى ما علم الله عباده المؤمنين من أسباب تجلّب لهم السعادة من غير ما عملته أياديهم، فقال في شرحه لهذه الآية: (يخبر تعالى عن كمال لطفه تعالى بعباده المؤمنين، وما قيض لأسباب سعادتهم من الأسباب الخارجة عن قدرتهم، من لهم استغفار الملائكة المقربين لهم، ودعائهم لهم بما فيه صلاح دينهم وآخرتهم، "ويستغفرون للذين آمنوا" وهذا من جملة فوائد الإيمان وفضائله الكثيرة جدًا، أن الملائكة الذين لا ذنوب عليهم يستغفرون لأهل الإيمان، فالمؤمن بإيمانه تسبب لهذا الفضل العظيم)[2] .

ثانياً: دعوة السنة النبوية إلى الاستغفار:

في السنة النبوية أحاديث متعددة وردت في شأن الاستغفار وهذا مما يدل على أهميته، فقد كان نبي الهدى ﷺ يهتم اهتماماً بالغًا بطلب المغفرة من ربه جلَّ وعلا بالرغم من أنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وفي ذلك تنبيه للأمة وتعليمها؛ إذ كان عليه الصلاة

(١) سورة غافر ، الآية: ٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ عبد الرحمن السعدي ، تحقيق د. عبد الرحمن اللويحق ص ٦٩٨ – ٦٩٩

والسلام لا يدع خيرًا إلا ودل أمته عليه ولا شرًا إلا حذرها منه، فمن تلك الأحاديث:

١/ عن الأغر المزني ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ على قلبي، وإني لأستغفر الله، في اليوم، مائة مرة**»(١).

قال العلامة محمد أشرف بن أمير العظيم آبادي رحمه الله: ("ليغان" بضم الياء بصيغه المجهول من الغين، وأصله الغيم لغة . قال في النهاية: وغينت السماء تغان إذا أطبق عليها الغيم، وقيل الغين شجر ملتف . أراد ما يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر لأن قلبه أبداً كان مشغولاً بالله تعالى، فإن عرض له وقتاً ما عارض بشرى يشغله من أمور الأمة والملة ومصالحهما عدَّ ذلك ذنبًا وتقصيرًا فيفرغ إلى الاستغفار)(٢).

٢/ وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرَّة**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء ، باب: استحباب الاستغفار والاستكثار منه ، رقم ٣٧٠٧ .

(٢) عون المعبود على سنن أبي داود ، شرف الحق العظيم آبادي ص ٦٨٨

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب: الدعوات ، باب: استغفار النبي في اليوم والليلة رقم ٦٣٠٧

٣/ وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلّس الواحد مائه مرة: «**رَبِّ اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم**»(١).

٤/ وعن عبد الله بن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ، ومن كل هم فرجاً ، ورزقه من حيث لا يحتسب** »(٢).

قال في عون المعبود: ("من لزم الاستغفار": أي عند صدور معصية وظهور بلية، أو من داوم عليه فإنه في كل نفس يحتاج إليه، ولذا قال ﷺ طوبي لمن وجد في صحيفته استغفارًا كثيرًا. " ومن كل ضيق ": أي شدة ومحنه (مخرجاً): أي طريقا وسببًا يخرج إلى سعه ومنحة، "ومن كل هم ": أي غم يهمه (فرجاً): أي خلاصًا (ورزقه) حلالاً طيبًا، "من حيث لا يحتسب ": أي لا يظن ولا يرجو ولا يخطر بباله . والحديث مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الصلاة ، باب: في الاستغفار رقم ١٥١٦، والترمذي ، كتاب:الدعوات ،باب: ما يقول إذا قام من المجلّس رقم ٣٤٣٤ عن ابن عمر وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ، رقم ٣٠٧٥

(٢) أخرجه أبو داود ، كتاب: الصلاة، باب: في الاستغفار رقم ١٥١٨ عن ابن عباس ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته رقم ١٢٦٠١ ، وسلسلة الأحاديث الضعيفة رقم ٧٠٥ .

مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾[(١)](٢).

٥/ عن بلال بن يسار بن زيد مولى النبي ﷺ قال: سمعت أبي يحدثنيه عن جدي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من قال أستغفر الله الذي لا اله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر الله له وإن كان فر من الزحف**»(٣).

٦/ وعن شداد بن أوس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك (وأنا) على عهدك ووعدك ما استطعت، أبوء لك بالنعمة، وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . فإن قالها بعدما يصبح موقنا بها ثم مات، كان من أهل الجنة، وإن قالها بعد ما يمسي موقنا بها، كان من أهل الجنة**»(٤).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: (قوله: "سيد الاستغفار" قال الطيبي: لما كان هذا الدعاء جامعاً لمعاني التوبة

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان ٢-٣

(٢) عون المعبود على سنن أبي داود ،محمد أشرف الحق العظيم آبادي ٦٨٩

(٣) أخرجه أبو داود ،كتاب: الصلاة ، باب: الاستغفار رقم ١٥١٧ ، والترمذي ٣٥٧٧، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود رقم ١٣٤٣

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب:الدعوات ، باب: أفضل الاستغفار رقم ٦٣٠٦

كلها استعير له اسم السيد، وهو في الأصل الرئيس الذي يقصد في الحوائج، ويرجع إليه في الأمور)[(١)].

وقال أيضاً رحمه الله: (قال ابن أبي جمرة: جمع ﷺ في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أنه يسمى سيد الاستغفار، ففيه الإقرار لله وحده بالإلهية والعبودية، والاعتراف بأنه الخالق، والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه، والرجاء بما وعده به، والاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه، وإضافة النعماء إلى موجدها، وإضافة الذنب إلى نفسه، ورغبته في المغفرة، واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو، وفي كل ذلك الإشارة إلى الجمع بين الشريعة والحقيقة، فإن تكاليف الشريعة لا تحصل إلا إذا كان في ذلك عون من الله تعالى)[(٢)].

وقال ابن رجب رحمه الله: (وأفضل أنواع الاستغفار: أن يبدأ العبد بالثناء على ربه، ثم يثني بالاعتراف بذنبه، ثم يسأل الله المغفرة كما في حديث شداد بن أوس عن النبي ﷺ)[(٣)]، فذكر حديث سيد الاستغفار هذا.

---

(١) فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني ١٠٢/١١

(٢) فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني ١٠٣/١١

(٣) جامع العلوم والحكم ، ابن رجب ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس ٤١٢/٢ .

٧/ وعـن ثوبـان رضي الله عنه قـال: كـان رسـول الله ﷺ إذا انصـرف مـن صلاته، استغفر ثلاثاً وقال: «**اللهـم أنت السلام ومنك السلام . تباركت ذا الجلال والإكرام**» . قيل للأوزعي وهو أحد رواته: كيف الاستغفار ؟ قال: يقول: أستغفر الله، أستغفر الله[1].

٨/ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقـول قبـل موتـه: «**سـبحان الله وبحمـده، أسـتغفر الله وأتـوب إليه**»[2].

٩/ وعن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي . يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي . يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**»[3].

١٠/ وعـن عبـد الله بـن عمـر رضـي الله عنهمـا أن النـبي ﷺ قـال: «**يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار . فإني رأيتكن أكثر**

(١) أخرجه مسلم ، كتاب المساجد ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ، رقم ٥٩١

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب: الصلاة ، باب: ما يقال في الركوع والسجود ، رقم ٤٨٤

(٣) أخرجه الترمذي ، كتاب: الدعوات ، باب: في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده رقم ٣٥٤٠ ، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم ٢٨٠٥

أهل النار» فقالت امرأة منهن، جزلة: وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار . قال: «**تكثرن اللعن . وتكفرن العشير، وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن» قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين ؟ قال: «أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجلٍ . فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلي**»[(١)].

١١/ عن حذيفة ﷺ قال: كان في لساني ذرب على أهلي لم أعده إلى غيره، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «**أين أنت من الاستغفار يا حذيفة ؟ إني لأستغفر الله كل يوم مئة مرة**»[(٢)].

١٢/ وعن أبي موسى ﷺ قال: كنا جلَّوساً فجاء النبي ﷺ فقال: «**ما أصبحت غداة قط إلا استغفرت الله مائة مرة**»[(٣)].

١٣/ وعن أبي هريرة ﷺ قال: لم أر أحداً أكثر أن يقول:أستغفر الله وأتوب إليه من رسول الله ﷺ[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب: الإيمان ، باب: بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات ، وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله ، ككفر النعمة والحقوق رقم ٧٩

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٣٩٤/٥ ، رقم ٢٣٣٤٠، ٢٣٤٢١ ، والحديث صحيح لغيره ، انظر: الموسوعة الحديثية ٣٦٥/٣٨، ٤١٩، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ، الألباني رقم ١٢٧

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٧٢/٧ ، والنسائي في السنن الكبرى ٦/ ١١٥ ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ١٦٠٠

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٢٠٧/٣ ، والنسائي في السنن الكبرى ١١٨/٦

١٤/ وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا. وإذا أساءوا استغفروا**»(١).

****

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٦/١٢٩ ، رقم ٢٤٩٨٠ ، وابن ماجه ،كتال: الأدب ، باب: الاستغفار، رقم ٣٨٢٠ ، وضعفه الألباني في المشكاة ، رقم ٢٣٥٧ ، قال في الموسوعة الحديثية ٤١/ ٤٤٦: إسناده ضعيف لضعف على بن زيد ، وهو ابن جدعان ، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم ، روى له البخاري تعليقا

المبحث الثالث

أهمية الاستغفار وفوائده

أولا: أهمية الاستغفار:

للاستغفار أهمية كبيرة تكمن في النقاط التالية:

١/ الاستجابة لأمر الله تعالى حيث إن الله تعالى أمر عباده في آيات كثيرة في كتابه العزيز، كما في مثل قوله تعالى: ﴿ **وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ** ﴾[(١)]، وقوله تعالى: ﴿ **وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ** ﴾[(٢)]، وغير ذلك من الآيات التي أمر الله فيها عباده بالاستغفار.

٢/ مداومة النبي ﷺ على الاستغفار، وقد ورد ذلك في بعض الروايات أنه ﷺ كان يستغفر ربه في اليوم أكثر من سبعين مرة، كما في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين**

---

(١) سورة هود ، الآية: ٩٠ .

(٢) سورة هود ، الآية: ٣

مرة»[١] وكما في الحديث الذي رواه الأغر المزني رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليغان على قلبي . وإني لأستغفر الله، في اليوم مائة مرة**»[٢]، وذكر عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنهم كانو يعدون لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائةً مرة: «**رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم**»[٣]. هذا، مع أنه ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، "وإنما كان استغفاره ﷺ شكرا لله وإعظاماً لجلاله سبحانه وتعالى "[٤].

٣/ أن النبي ﷺ كان يعلم من أسلم من صحابته حديث الاستغفار والدعاء، فعن أبي مالك الأشجعي عن أبيه قال: «كان الرجلُ إذا أسلم علمه النبي الصلاة . ثم أمره أن يدعو بهؤلاء الكلمات: «**اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وعافني وارزقني**»»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري ،كتاب: الدعوات ، باب: استغفار النبي في اليوم والليلة رقم ٦٣٠٧

(٢) أخرجه مسلم ،كتاب: الذكر والدعاء ، باب: استحباب الاستغفار والاستكثار منه ، رقم ٣٧٠٧ .

(٣) أخرجه أبو داود ،كتاب: الصلاة ، باب: في الاستغفار رقم ١٥١٦ ، والترمذي ، كتاب: الدعوات ، باب: ما يقول إذا قام من المجلس رقم٣٤٣٤ عن ابن عمر، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ، رقم ٣٠٧٥

(٤) انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم ، أبو الفضيل عياض اليحصبي ٨/ ١٩٨

(٥) أخرجه مسلم ،كتاب: الذكر والدعاء ، باب:فضل التهليل والتسبيح برقم ٢٧٩٧

٤/ أن الله جلّ وعلا أثنى على أوليائه وعباده الصالحين وذكر من أوصافهم أنهم يستغفرون، وفي ذلك دليل على أهمية الاستغفار، يقول جلّ شأنه: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾[1].

٥ / أن النبي ﷺ علمنا في الصلاة- وهي أفضل الأعمال بعد الشهادتين- كثيراً من الاستغفار . ففي دعاء الاستفتاح: «**اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب**»[2]، وفي الركوع والسجود: «**سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي**»[3]، وبين السجدتين: «**رب اغفر لي رب اغفر لي**»[4]، وقبل السلام: «**اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني، أنت المقدم وأنت**

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٧

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب: الآذان ، باب: ما يقول بعد التكبير رقم ٧٤٤ ، ومسلم ،كتاب: الذكر والدعاء ، باب: الدعوات والتعوذ رقم ٥٨٩

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب الآذان ، باب: الدعاء في الركوع رقم ٧٩٤ ، ومسلم ، كتاب: الصلاة ، باب: ما يقال في الركوع والسجود رقم ٤٨٤

(٤) أخرجه أبو داود ، كتاب: الصلاة ، باب: ما يقول الرجلّ في ركوعه وسجوده ، رقم ٨٧٤ والنسائي ، كتاب: التطبيق ، باب: ما يقول في قامه ذلك رقم ١٠٦٩ ، وابن ماجه ، كتاب: إقامة الصلوات والسنة فيها ، باب: ما يقول بين السجدتين رقم ٨٩٧ ، وأحمد في مسنده ٥/٣٩٨ ، وصححه الألباني ، مشكاة المصابيح رقم ١٢٠٠

المؤخر لا إله إلا أنت»(١)، ولما سأله الصديق ﷺ عن دعاء يدعو به في صلاته قال ﷺ: «**قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**»(٢). كل هذا داخل في الصلاة، وقد علمنا النبي ﷺ أن نقول بعد السلام: «**أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله** »(٣).

٦/ الاستغفار من الأسباب التي تحصل بها المغفرة ؛ فقد استنتج الحافظ بن رجب رحمه الله الأسباب التي تحصل بها مغفرة الذنوب للعبد المسلم من الحديث القدسي المروي عن أنس بن مالك ﷺ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال تبارك وتعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي . يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي . يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم**

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب: الدعوات ، باب:اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت رقم ٦٣٦٨ ، ومسلم ، كتاب: الذكر والدعاء ، باب: في الأدعية رقم ٢٧١٩

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب: الذكر والدعاء ، باب: الدعوات والتعوذ ، رقم ٢٧٠٥

(٣) أخرجه مسلم ، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة ، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته رقم ٥٩١ عن ثوبان

لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة»[١]، وأهم الأسباب هي:

١/ الدعاء مع الرجاء، فإن الدعاء مأمور به، وموعود بالإجابة، كما قال تعالى: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾[٢].

فإنه من أعظم أسباب المغفرة أن العبد إذا أذنب ذنباً لم يرج مغفرته من غير ربه، ويعلم أنه لا يغفر الذنوب ويأخذ بها غيره .

٢/ الاستغفار، ولو عظمت الذنوب وبلغت الكثرة عنان السماء، وهو السحاب . وقيل: ما انتهى إليه البصر منها .

٣/ التوحيد، وهو السبب الأعظم، فمن فقده فقد المغفرة، ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** ﴾[٣][٤]

---

(١) أخرجه الترمذي ، كتاب: الدعوات ، باب: في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده رقم ٣٥٤٠ ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي رقم ٢٨٠٥

(٢) سورة غافر ، الآية:٦٠ .

(٣) سورة النساء ، الآية:٤٨

(٤) للاستزادة انظر: جامع العلوم والحكم ، ابن رجب ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس ٢/ ٤٠٢ .

ثانياً: فوائد الاستغفار:

إن من كمال نعمة الله وسعة رحمته أن جعل لعباده طريقاً يرجعون به عن ذنوب اقترفوها وآثام ارتكبوها وما من عبد إلا وهو معرض لارتكاب الذنوب صغيرة كانت أو كبيرة إما بتركه لما أمره الله به أو فعله لما نهاه عنه وذلك من سنن الله، له فيها حكمة بالغة ليميز الخبيث من الطيب كما قال نبينا ﷺ في الحديث: «**لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم**»[(١)]، وكل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون[(٢)].

فالاستغفار سبيل وضعه الله لعباده للعود إليه بعد الذنب ؛ ليعفو عن سيئاتهم، ويقيهم شر عقوبتها، ويوفقهم لفعل الحسنات .فيتبين إذن أن الاستغفار له نتائج حسنه وفوائد طيبة يمكن ذكر بعضها:

١/ أن الاستغفار يجلب الرحمة، يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم كتاب: التوبة ، باب: سقوط الذنوب بالاستغفار توبة ، رقم ٢٧٤٩

(٢) أخرجه ابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب: ذكر التوبة رقم ٤٢٥١ ، والحاكم في المستدرك ٢٧٢/٤ ، والدارمي في سننه ٣٩٢/٢ ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه برقم ٣٤٢٨

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٠ .

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله في شرحه لهذه الآية: (أي من تجرأ على المعاصي واقتحم على الإثم، ثم استغفر الله استغفارا تاما، يستلزم الإقرار بالذنب، والندم علية، والإقلاع، والعزم على ألا يعود، فهذا قد وعده من لا يخلف الميعاد بالمغفرة والرحمة . فيغفر له ما صدر منه من الذنب، ويزيل عنه ما ترتب عليه من النقص والعيب، ويعيد إليه ما تقدم من الأعمال الصالحة ويوفقه فيما يستقبله من عمره، ولا يجعل ذنبه حائلا عن توفيقه، لأنه قد غفره، وإذا غفره غفر ما يترتب عليه)[١].

وقوله تعالى في خطاب شعيب عليه السَّلام لقومه: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾[٢].

قال العلامة محمد جمال الدين القاسمي رحمه الله في تفسير هذه الآية: ("استغفروا ربكم " أي من عبادة الأصنام " ثم توبوا إليه " أي بالتوحيد، أو بالرجوع عن البخس والتطفيف " إن ربي رحيم " أي للمستغفرين التائبين " ودود " أي مبالغ في المحبة لهم)[٣].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ عبد الرحمن السعدي ، تحقيق: د.عبد الرحمن اللويحق ص ١٤٦

(٢) سورة هود ، الآية: ٩٠ .

(٣) محاسن التأويل ، القاسمي ٩/١٦٤ .

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله (" إن ربي رحيم ودود " لمن تاب وأناب، يرحمه فيغفر له، ويتقبل توبته ويحبه، ومعنى الودود من أسمائه تعالى، أنه يحب عباده المؤمنين ويحبونه، فهو " فعول " ومعنى "مفعول")[١].

وقال الشيخ أبو بكر الجزائري رحمه الله: (واستغفروا ربكم مما أنتم عليه من الشرك والمعاصي، ثم توبوا إليه بالطاعة،" إن ربي رحيم" لا يعذب من تاب إليه، ودود يحب من أناب إليه)[٢].

٢/ أن الاستغفار سبب لفتح أبواب الخيرات والبركات على الناس، يفيد ذلك قوله جلَّ وعلا على لسان نبي الله هود علية السَّلام لقومه: ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ . . . ﴾[٣]، وقوله جلَّ شأنه على لسان نوح عليه السَّلام لقومه: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾[٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ عبد الرحمن السعدي ، تحقيق: د.عبد الرحمن اللويحق ص ٣٦٤

(٢) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، أبو بكر الجزائري ٢/ ٥٧٢

(٣) سورة هود ، الآية:٥٢ .

(٤) سورة نوح ، الآيات: ١٠-١٢ .

قال الشيخ أبو بكر جابر الجزائري رحمه الله في ذكر هداية الآيات: (استنبط بعض الصالحين من هذه الآية أن من كانت له رغبه في مال أو ولد فليكثر من الاستغفار الليل والنهار ولا يمل، يعطه الله تعالى مراده من المال والولد)[1].

٣/ أن الاستغفار سبب لتفريج الهم وتيسير الرزق وتسهيله، قال عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم: «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا، ومن كل هم فرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب**»[2].

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره لآية هود السابقة: (ومن اتصف بهذه الصفة (أي الاستغفار) يسر الله عليه رزقه وسهل عليه أمره وحفظ شأنه)[3].

٤/ الاستغفار دليل على اعتراف العبد بتقصيره في حقوق مولاه ومن علامات رجوعه إليه قبل أخذه إياه بذنوبه، وقد تبين ذلك في سيد الاستغفار في قول العبد: «... **وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا**

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، أبو بكر الجزائري ٥/ ٤٤٢

(٢) أخرجه أبو داوود ، كتاب: الصلاة ، باب: في الاستغفار رقم ١٥١٨ عن ابن عباس ، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته ، رقم ١٢٦٠١ ، وسلسلة الأحاديث الضعيفة رقم ٥٠٧

(٣) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، تحقيق سامي بن محمد السلامة ٢/ ٤٩٢

يغفر الذنوب إلا أنت»[١] وقوله: «**وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت** ...»، قال الحافظ بن حجر رحمه الله: (قال الخطابي في قوله " ما استطعت ": واشتراط الاستطاعة في ذلك معناه: الاعتراف بالعجز والقصور عن كنه الواجب من حقه تعالى)[٢]، وقال ابن بطال أيضاً: (وفي قوله "ما استطعت " إعلام لأمته أن أحدا لا يقدر على الإتيان بجميع ما يجب عليه، ولا الوفاء بكمال الطاعات والشكر على النعم، فرفق الله بعباده فلم يكلفهم من ذلك إلا وسعهم)[٣].

٥/ الاستغفار نوع من أنواع الذكر، والذكر من أجل العبادات القولية حث الله عليه في مواضع شتى في كتابه العزيز في مثل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾[٤].

٦/ أن الاستغفار يعين العبد على أن تكون دعوته مستجابة، حيث جعل الاستغفار من آداب الدعاء التي ينبغي أن يقدمها الداعي قبل التوجه بطلبه إلى ربه جلّ وعلا .

قال ابن حجر في شرحه لأحاديث باب التوبة: (أشار المصنف – أي البخاري – بإيراد هذين البابين – وهما الاستغفار ثم التوبة – في أوائل كتاب الدعاء إلى أن الإجابة تسرع إلى من لم يكن متلبساً

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب: الدعوات ، باب: أفضل الاستغفار رقم ٦٣٠٦ .

(٢) فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني ١١/١٠٢ .

(٣) المرجع السابق ١١/ ١٠٣ .

(٤) سورة الأحزاب ، الآية:٤١

بالمعصية، فإذا قدم التوبة والاستغفار قبل الدعاء كان أمكن لإجابته، وما ألطف قول ابن الجوزي، إذ سئل أأسبح أو أستغفر فقال: الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البخور)[١].

٧/ بسبب الاستغفار يقبل الرب على عبده ويفرح بفعله ويرضى به، قال ﷺ: «**لله أفرح بتوبة العبد من رجلٍ نزل منزلا وبه مهلكه، ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته، فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت، ثم رفع رأسه، فإذا راحلته عنده عليها زاده: طعامه وشرابه، فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده**»[٢]

٨/ أن الاستغفار أمان من غضب الجبار وعقابه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[٣].

٩/ أنه سبب لدفع المصائب قبل نزولها ورفعها بعد نزولها، فقد تقرر بأن وقوع المصائب والبلايا بسبب الذنوب، وإذا استغفر العباد ربهم وتابوا إليه توبة نصوحاً من ذنوبهم فإن الرب جلَّ وعلا يقبل التوبة ويرفع

---

(١) فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني ١١/١٠٦

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب: الدعوات ، باب: التوبة ، رقم ٦٣٠٨ عن ابن مسعود .

(٣) سورة الأنفال ، الآية: ٣٣

تلك المصائب النازلة بسبب الاستغفار، قال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾[(١)].

١٠/ بالاستغفار تحصل مغفرة الذنوب من رب العزة جلَّ وعلا، والمغفرة وقاية شر الذنب حتى لا يعاقب العبد بذنبه وليس مجرد الستر[(٢)]، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[(٤)].

١١/ الاستغفار يورث العبد دخول الجنة، ففي حديث سيد الاستغفار: «**ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة . ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة**»[(٥)].

١٢ / أنه يجعل العبد ممن يذكرون عند الرب جلَّ وعلا، فالاستغفار نوع من أنواع الذكر، وإذا داوم العبد عليه فإنه يدخل

---

(١) سورة النساء، الآية:١٤٧

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، عبد الرحمن بن قاسم ١٠ /٣١٧

(٣) سورة النساء ، الآية ١١٠

(٤) سورة المائدة ، الآية ٧٤ .

(٥) أخرجه البخاري ، كتاب: الدعوات ، باب: أفضل الاستغفار رقم ٦٣٠٦.

فـيمن يشـملهم الوعـد الكـريم مـن الـرب الـرحيم في قولـه تعـالى: ﴿فَـاذْكُرُونِي أَذْكُـرْكُمْ﴾[١]. وقولـه ﷺ في الحـديث القدسـي: «**إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي** ...»[٢]

****

---

(١) سورة البقرة ، الآية:١٥٢

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب: الحث على ذكر الله ، رقم ٢٦٧٥

المبحث الرابع

حاجة الدعاة إلى الاستغفار

إن الدعاة إلى دين الله في أداء مهماتهم الصعبة، في حاجة إلى عون الله وتوفيقه كي تتحقق لهم النتائج المرجوة وهي هداية الناس وبلوغ هذا الدين مشارق الأرض ومغاربها، فمهمة الدعاة هي مهمة أنبياء الله ورسله عليهم السلام، وقد طلب كل من هؤلاء الأنبياء والرسل عليهم السَّلام من ربه العون والتوفيق وكل ما يمهد لهم الطريق لأداء مهمتهم تجاه أقوامهم حتى يتحقق لهم النصر، فلما كانت مهمة الدعاة إلى الله هي نفس مهمة الأنبياء والرسل عليهم السَّلام كان لابد لهم من الاجتهاد في طلب ما يعينهم على أداء الواجب المناط بأعناقهم، وقد فعل ذلك قبلهم من هم خير منهم وأقرب إلى البارئ جلَّ وعلا .

يقول ابن رجب رحمه الله: (وأما الاستغفار من الذنوب، فهو طلب المغفرة، والعبد أحوج شيء إليه؛ لأنه يخطئ بالليل والنهار، وقد تكرر في القرآن ذكر التوبة والاستغفار، والأمر بهما، والحث عليهما،

لحديث أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**»[١] [٢].

فالاستغفار وسيلة من وسائل وطريقة من الطرق التي بها يتوفر عون الله للداعية ويحالفه التوفيق في أعماله، فيحتاج إلى التوفيق من الله ليهتدي هو بنفسه لما يرضي الله جلَّ وعلا في القول والعمل، كما يحتاج إلى الإعانة من الله تعالى لكي تحصل لمدعويه هداية التوفيق التي لا يملكها أحد كائنا من كان إلا الله جلَّ شأنه .

والمرء المسلم في أثناء استغفاره ربه يعترف بذنوبه ويظهر عجزه وتقصيره ويعلن لربه جلَّ وعلا بأنه لا يملك تدبير شيء من دينه ودنياه، فكل هذا التذلل والانكسار والخضوع يجلِّب عون الله لعبده ؛ لأنه حقيقة التعبد لله جلَّ وعلا .

ولهذا الأمر ولغيره من الأسباب الأخرى أوردها لحاجة الداعية إليها:

١ . إن العاصي يقع بسبب معصيته في قبضة الشيطان وأسره، والاستغفار بمثابة سبيل من سبل الخلاص من قبضة الشيطان،

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ، باب (٤٩) رقم ٢٤٩٩ ، وابن ماجه، كتاب: الزهد ، باب: ذكر التوبة ، رقم ٤٢٥١ ، عن أنس بن مالك ، وحسنه الألباني ، صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ، رقم ٨٦٤٤.

(٢) جامع العلوم والحكم ، ابن رجب ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس ٤١/٢

فالداعية الكريم الذي ينير الطريق للناس ويرشدهم أولى الناس بمعرفة وسائل وطرق الخلاص من قبضة الشيطان وأسره، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ قال إبليس: «**إن إبليس قال لربه: بعزتك وجلالك لا أبرح أغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم، فقال الله:فبعزتي وجلّالي لا أبرح أفر لهم ما استغفروني**»[1].

٢. إن الداعية هو الذي يعلم الناس منهج النبي ﷺ في حياته ليقتدوا به ﷺ في عباداتهم ومعاملاتهم، وقد أثر عن النبي ﷺ الإكثار من الاستغفار في المجالس، فحري بالداعية الكريم أن يكون أول من يحتذي بهذا الرسول ويعود نفسه منهجه القويم لكي يتمكن من تعليم غيره ويكون قدوة حسنة للمدعوين فحاجته إلى الاستغفار إذن حاجه ماسة .

٣. إن الداعية أحوج الناس إلى معرفة الله، ومعرفة الله جلَّ وعلا لن تأتي إلا بالعلم والإيمان، وقد تقرر لدى العلماء العارفين بأن المعاصي من ضررها وقبحها أنها تحرم المرء من العلم، إذ إن العلم نور، فتحجبه عن معرفة الله تعالى، ويفوت عليه سعادة الدنيا والآخرة،

---

(١) أخرجه أحمد ، في مسنده ٢٩/٣ ، والحاكم في المستدرك ٢٩٠/٤ ، عن أبي سعيد الخدري ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي في التلخيص ، وقال في الموسوعة الحديثية ١٧/ ٣٣٧: حديث حسن

فيجدر بالداعية إذن أن يلازم الاستغفار ليغفر الله له ذنوبه حتى يعرف ربه حق المعرفة بالعلم النافع والإيمان القوي .

٤. كم من قول أو فعل يصدر من الداعية إلى الله أثناء ممارسة العمل الدعوي قد يكون من الأخطاء، فقد يحكم بحرمة شيء ما للمدعو ويكون حكمه في الصحيح حلالاً وقد يحصل العكس، كما يمكن أن يسبقه لسانه فيتلفظ بشيء يحرم عليه التلفظ به، فكل هذا يتطلب منه بل ويوجب عليه أن يداوم على الاستغفار .

فعن أبي هريرة ﷺ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة، ينزل بها في النار، أبعد ما بين المشرق والمغرب**»[1].

وعن أبي هريرة ﷺ أيضاً أن النبي ﷺ قال: «**إن العبد يتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم**»[2].

قال النووي رحمه الله: (قوله ﷺ: «**إن الرجلَّ يتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوى بها في النار**» معناه: لا تدبرها ويفكر في قبحها ولا يخاف ما يترتب عليها، وهذا كالكلمة عند السلطان وغيره من

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق ، باب:حفظ اللسان ،رقم ٦٤٧٧ ، ومسلم ، كتاب: الزهد والرقائق، باب:التكلم بالكلمة يهوى بها في النار ، رقم ٢٩٨٨

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق ، باب:حفظ اللسان ،رقم ٦٤٧٨

الولاة، كالكلمة تقذف، أو معناه كالكلمة التي يترتب عليها إضرار مسلم ونحو ذلك، وهذا كله حث على حفظ اللسان ... وينبغي لمن أراد النطق بكلمة أو كلام أن يتدبر في نفسه قبل نطقه، فإن ظهرت مصلحته تكلم وإلا أمسك)[(١)].

والمقصود أنه ينبغي للداعية الإكثار من الاستغفار ليغفر الله له زلاته ويعفو عن ما قد ينطق به لسانه من الشر فيحسب عليه وهو لا يلقى له بالاً .

٥. إن الاستغفار يعلم الداعية الصبر مع المدعوين والرحمة بهم والشفقة عليهم، فإنه إذا لزم الاستغفار موقنا بأن الله يغفر له ذنوبه ويتوب عليه يدرك أثناء ذلك رحمة الله وشفقته على المذنبين ؛ إذ أساءوا إليه بإتيان ما نهاهم عنه أو ترك ما أمرهم به أو تجاوز حدوده ومع ذلك كله فتح لهم مجال الاستغفار والتوبة لكي يعفو عنهم ويوفقهم لفعل الخير فالداعية تمس حاجته إلى الاستغفار ليتعلم هذه الدروس ويعتبر بهذه العبر .

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾[(٢)].

---

(١) شرح صحيح الإمام مسلم ، النووي ١١٢/٩

(٢) سورة البروج ، الآية: ١٠

قال الحسن البصري معلقاً على هذه الآية الكريمة: (انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة)[١].

٦. إن أقصى غاية يسعى إليها العبد في هذه الحياة هي دخوله الجنة ونجاته من النار، وقد قال النبي ﷺ: «**حولها ندندن**»[٢]، وسؤال الله مغفرة الذنوب ليغفر له سبيل للوصول إلى تلك الغاية المذكورة، فالداعية إلى دين الله من أرغب الناس في دخول جنة ربه وأحرصهم على غيره للفوز بها، فهو إذن محتاج إلى الاستغفار.

قال تعالى في إخبار عباده بأن كل ما يحصل لهم من المصائب فإنه بأفعالهم: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾[٣].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، سامي بن محمد السلامة ٣٧١/٨ ، وانظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الشيخ عبد الرحمن السعدي ، تحقيق: د. عبد الرحمن اللويحق ص ٨٧٨

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب: الصلاة ، باب: في تخفيف الصلاة ، رقم ٧٩٢ ، وابن ماجه ، كتاب: إقامة الصلوات والسنة فيها ، باب: ما يقال بعد التشهد والصلاة على النبي ﷺ رقم٩١٠ ، عن أبي هريرة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم ٥٤٧٤

(٣) سورة الشورى، الآية ٣٠

قال الحافظ بن كثير رحمه الله في تفسير الآية: (أي: مهما أصابكم أيها الناس من المصائب فإنما هو عن سيئات تقدمت لكم، ويعفو عن كثير من السيئات، فلا يجازيكم عليها بل ويعفو عنها)[(١)].

وقال العلامة عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي رحمه الله: (وما أصابكم من غم وألم ومكروه فبجناية كسبتموها عقوبة عليكم، ويعفو عن كثير من الذنوب، فلا يعاقب عليه، أو عن كثير من الناس فلا يعاجلّهم بالعقوبة .

وقال ابن عطاء: من لم يعلم أن ما وصل إليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأن ما عفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر في إحسان ربه إليه.

وقال محمد بن حامد: العبد ملازم للجنايات في كل أوان، وجناياته في طاعته أكثر من جناياته في معاصيه،لأن جناية المعصية من وجه، وجناية الطاعة من وجه، والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله في القيامة، ولولا عفوه ورحمته لهلك في أول خطوة)[(٢)].

والمقصود هنا أن المعاصي سبب لجميع البلايا والمصائب ؛ ولذا قال بعض السلف: ما نزلت بلية إلا بذنب، وما رفعت إلا بتوبة .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، تحقيق:سامي بن محمد السلامة ٢٠٧/٧

(٢) تفسير النسفي المسمى: " مدارك التنزيل وحقائق التأويل " ، النسفي ص١٠٨٩ .

فإذا أدرك الداعية هذه الحقيقة أكثر من الاستغفار ليعفو الله عن سيئاته ويفوز بسعادة الدارين .

****

المبحث الخامس

أثر الاستغفار على الدعاة إلى الله تعالى وثمراته

إن التـزام الـدعاة إلى الله تعـالى بالاسـتغفار لـه العديـد مـن الآثـار الطيبة، والثمرات النافعة، ومن أبرز ذلك:

١/ الالتزام بمنهج الأنبياء والصالحين:

إن الأنبيـاء كـانوا أشـد النـاس اجتهـاداً في العبـادة لمـا أعطـاهم الله تعـالى مـن المعرفـة[١]. إذ كلمـا كـان العبـد أعـرف بربـه كـان أتقـى لـه وأكثـر تعبـداً، فهـم علـيهم السَّـلام دائبـون في شـكره معترفـون لـه بالتقصير[٢]،فهم في كل حال من أحوالهم يلزمون الاستغفار ويداومون عليه مع أنهم معصومون من الذنوب كبيرة أو صغيرة، كل ذلك مبالغة منهم عليهم السلام في شكر ربهم على نعمه واعترافا منهم بالعجز والقصور عن كنه الواجب من حقه تعالى[٣].

وعلى هذا المنهج الذي سار عليه الأنبياء والرسل عليهم السَّلام أخـذ الأوليـاء والصـالحون مـن أممهـم يسـيرون عليـه مقتـدين بأولئـك الأنبياء والرسل عليهم السَّلام .

---

(١) فتح الباري ، ابن حجر ١١/١٠٥ .

(٢) المرجع السابق ١١/١٠٥

(٣) المرجع السابق ١١/١٠٢ .

فقد أمر الله أنبياءه ورسله بالاستغفار فداوموا عليه ولازموه وعلموا أممهم الاستغفار ودعوهم إليه .

وهذا هود عليه السَّلام يدعو قومه إلى الاستغفار قائلاً: ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾[١].

وكذلك نادى صالح عليه السَّلام قومه قائلاً: ﴿ فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾[٢].

وقال شعيب لقومه: ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾[٣].

وقال نوح عليه السَّلام لقومه: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾[٤].

---

(١) سورة هود، الآية: ٥٢ .

(٢) سورة هود، الآية: ٦١

(٣) سورة هود، الآية: ٩٠

(٤) سورة نوح ،الآية: ١٠ .

ولأهمية الاقتداء أمر الله عز وجلّ نبيه أن يلزم نهج الأنبياء السابقين قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾[(١)].

قال ابن كثير رحمه الله: (قال تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً ﷺ: ﴿أُولَئِكَ﴾ يعني الأنبياء المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان وهم الأشباه ﴿الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ أي: هم أهل الهداية لا غيرهم، ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ أي: اقتد واتبع . وإذا كان هذا أمرا للرسول ﷺ، فأمته تبع له فيما يشرعه لهم ويأمرهم به)[(٢)].

وأمر الله تعالى سيد الأنبياء وأفضل ولد آدم أجمعين بالاستغفار فقال: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[(٤)]، وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[(١)].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، تحقيق:سامي بن محمد السلامة ٣/٢٩٩

(٣) سورة غافر، الآية: ٥٥ .

(٤) سورة محمد، الآية: ١٩

كما أعلن ﷺ لقومه فوائد الاستغفار ودعاهم إليها في أحاديثه الشريفة في مثل قوله ﷺ: «**إنه ليَغانُ على قلبي ، وإني لأستغفر الله، في اليوم، مائة مرة**»[٢].

١. وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «**إن كنَّا لنعد لرسول الله ﷺ في المجلَّس مائة مرة: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور**»[٣].

٢. وروي عن أنس بن مالك ﷺ قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نستغفر بالأسحار سبعين استغفاره[٤].

٣. ويروى عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه: (يا بني، عود لسانك: اللهم اغفر لي، فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلاً)[٥].

---

(١) سورة النصر، الآية: ٣ .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب: الذكر والدعاء ، باب: استحباب الاستغفار والاستكثار منه ، رقم ٣٧٠٧

(٣) أخرجه أبو داود ، كتاب:الصلاة، باب: في الاستغفار رقم ١٥١٦ ، والترمذي ، كتاب: الدعوات ، باب: ما يقول إذا قام من المجلَّس رقم ٣٤٣٤ عن ابن عمر ، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ، رقم ٣٠٧٥.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الوسيط ١٨٣/٩ ، وابن جرير في تفسيره ، وابن مردويه في تفسير ابن كثير

(٥) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي، تحقيق:د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي ٥٢٠/٦.

٤. وقال أبو هريرة ﷺ: (إني لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم ألف مرة وذلك على قدر ديتي)[١].

٥. وروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يحيي الليل صلاة، ثم يقول: «يا نافع، أسحرنا؟ فيقول:لا، فيعاود الصلاة، ثم يقول: يا نافع أسحرنا ؟ فأقول نعم فيقعد فيستغفر ويدعو حتى يصبح»[٢].

٦. وقال الحسن رحمه الله: (أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم وفي طريقكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم أينما كنتم، فإنكم ما تدرون متى تنزل البركة)[٣].

٧. وروي عن إبراهيم بن حاطب عن أبيه قال:سمعت رجلًا في السحر في ناحية المسجد وهو يقول: رب أمرتني فأطعتك، وهذا سحر فاغفر لي فنظرت فإذا ابن مسعود ﷺ[٤].

٨. وقال أبو المنهال: (ما جاور عبد في قبره من جار أحب إليه من استغفار كثير)[١].

---

(١) حلية الأولياء: الأصبهاني ٣٨٣/١

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٦٠/١٢ ، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣٠٤/١ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٥٧٦:رواه الطبراني ورجاله ثقات رجال الصحيح غير أسد بن موسى وهو ثقة .

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤٤٣/١ .

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٠٤/٩ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٣٨/١٠:رواه الطبراني وفيه عبد الرحمن بن إسحاق الكوفي وهو ضعيف

٩. وقال أبو قتادة: (إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، فأما داؤكم: فالذنوب، وأما دواؤكم: فالاستغفار)[٢].

١٠. وقال رباح القيسي: (لي نيف وأربعون ذنباً، قد استغفرت الله لكل ذنب مئة ألف مرة)[٣].

١١. وروى أبو النعيم في الحلية أن عمر بن عبد العزيز خطب فقال: (أيها الناس من ألم بذنب فليستغفر الله وليتب، فإن عاد فليستغفر الله وليتب، فإن عاد فليستغفر وليتب، فإنما هي خطايا مطوقة في أعناق الرجال، وإن الهلاك كل الهلاك الإصرار عليها)[٤].

١٢.وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (شهادة التوحيد تفتح باب الخير، والاستغفار يغلق باب الشر)[٥].

وقال أيضاً رحمه الله: (إنه ليقف خاطري في المسألة والشيء أو الحالة التي تشكل علي فأستغفر الله تعالى ألف مرة، أو أكثر أو أقل، حتى ينشرح الصدر وينحل لإشكال ما أكشل، وقد أكون إذ ذاك في

---

(١) الزهد ، الإمام أحمد بن حنبل ٣٢٨/١

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤٢٧/٥ ، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب ٢٥١/١ ، رقم ١٠٠١ .

(٣) أخرجه أبو النعيم في حلية الأولياء ٦/ ١٩٤ .

(٤) أخرجه أبو النعيم في حلية الأولياء ٥/ ١٩٤

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، عبد الرحمن بن قاسم ٢٥٦/١٠ .

السوق أو المسجد أو المدرسة لا يمنعني ذلك من الذكر والاستغفار إلى أن انال مطلوبي)[١].

وما من شك أن الداعية الملتزم بالاستغفار يكون سائراً على منهج الأنبياء والصالحين، وهذا له أثره الطيب في الدعوة إلى الله تعالى .

٢/ تحقيق القدوة الحسنة للمدعوين:

ومع حرص الداعية على الاستغفار، يعطي دروسا عملية للمدعوين في أهمية ملازمة الاستغفار، والحرص عليه .

(ولا يخفى أبداً أثر القدوة فهي الصورة الحية للفكرة، والتطبيق العملي للدعوة، والتوضيح الجلّي للحجة، ولا شك أنها من أعظم أسباب بذر المحبة في القلوب، ووجود القناعة في العقول، وكثير من المدعوين ينتفعون بالسيرة الحسنة، ولاسيما العامة أرباب العلوم القاصرة فإنهم ينتفعون من السيرة والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة مالا ينتفعون من الأقوال التي قد لا يفهمونها)[٢].

قال الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: "إن صلاح هو أبلغ خطبة تدعو الناس إلى الإيمان، وخلقه الفاضل هو السحر الذي يجذب إليه الأفئدة، ويجمع عليه القلوب، وإن الداعية الموفق الناجح هو الذي

---

(١) العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ، محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي ص ٢٢ .

(٢) مقومات الداعية الناجح ، د. على عمر بادحدح ،ط/٢ ، دار الأندلس الخضراء ، جدة: ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م ، ص٣٢

يهدي إلى الحق بعمله، وإن لم ينطق بكلمة لأنه مثل حي متحرك للمبادئ التي يعتنقها. وإن تناقض الفعل والقول هو أخطر شغب يمس قضايا الإيمان ويصيبها في الصميم ولا يكفي- لكى يكون المرء قدوة- أن يتظاهر بالصالحات، أو يتجمل للأعين الباحثة؛ فإن التزوير لا يصلح في ذلك الميدان، وإن التدين الحقيقي صورة لجوهر النفس بعدما استكانت لله ونزلت على أمره واصطبغت بالفضائل التي شرعها، وترفعت عن الرذائل التي حرمها، واستقامت على ذلك استقامة تامة، هذا التدين وحده هو الذي تلتمس منه الأسوة ويقتبس منه الهدى، ومن ثم نرى لزاما علينا التوكيد بأن القدوة وحدها وما يبعث على الاقتداء من إعزاز وإعجاب هما السبيل الممهد لنشر الدعوة في أوسع نطاق"[١].

إن سلوك الداعية الناصح هو الصورة الحية لما يدعو الناس إليه، وإنه يكسب لدعوته بسلوكه أكثر مما يكسبه بمواعظه وكلامه، فينبغي أن يكون ناصحا بحاله قبل أن يكون ناصحاً بمقاله، وإلا كان عقبة كئود في طريق الدعوة.

"إن الباحث في سير الدعاة يلاحظ أنهم كانوا أكثر تأثيرا في الناس بسلوكهم وثبات أخلاقهم على كل الأحوال، فعين الجمهور فاحصة ومنطقة الأفعال أقوى في الإقناع، وإن القدوة الحسنة لا يعدلها شيء

---

(١) مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة، الشيخ محمد الغزالي، ط/٥، دار الكتب الإسلامية، القاهرة: ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص٢٩٧، ١٩٨.

في حسن التأثير فالكلام- والبراعة فيه- صفة سهلة يجيدها الخيرون كما يجيدها المشعوذون والكذابون على السواء، ويعرف سبيلها المخلصون والمنافقون، ولذا كان أول ما يجب أن تنصرف إليه همة الداعية هو إصلاح نفسه وتعهدها بالتدريب والتهذيب فإن أنس منها خيرا أمكنه أن ينطلق برسالته إلى الآخرين"[١].

إن موافقة أخلاق الداعي لمضمون دعوته يؤكد مضمون الدعوة ويقويه في نفوس المدعوين والإتباع، فإنه يكون مثلاً حياً لما يدعو إليه، ونموذجا عمليا يحتذيه الأتباع، ويخرج في أنفسهم عن أن يكون مضمون الدعوة أمراً خيالياً بعيداً عن الواقع. هذا بالإضافة إلى أن المدعو يتعلم من أخلاق الداعية من التفاصيل ما قد لا تبلغه الدعوة القولية.

ولو أن أخلاق الداعي كانت على خلاف ما يدعو إليه كان ذلك تكذيبا ضمنيا لدعوته، وإضعافا لها في نفوس المدعوين والأتباع، والمعصية قبيحة من كل أحد، ولكنها من الداعية أشد قبحاً وسوءاً. وهو مهلك لدعوته، قاطع للناس عن القبول منه، وهذا القول صادق على التمسك بالأخلاق والآداب الإسلامية بصفة عامة"[٢].

---

(١) كيف ندعو الناس، الشيخ عبد البديع صقر، ط/٦، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص١٠٦،١٠٧.

(٢) الموسوعة الفقهية، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط/٣، الكويت: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ٣٣١/٢٠.

ولأهمية القدوة في الدعوة أمر الله تعالى بالاقتداء بإمام الدعاة ﷺ فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: (واستدل الأصوليون في هذه الآية، على الاحتجاج بأفعال الرسول ﷺ، وأن الأصل، أن أمته أسوته في الأحكام، إلا ما دل الدليل الشرعي على الاختصاص به.

فالأسوة نوعان: أسوة حسنة، وأسوة سيئة.

فالأسوة الحسنة، في الرسول ﷺ، فإن المتأسي به، سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله، وهو الصراط المستقيم.

وأما الأسوة بغيره، إذا خالفه، فهو الأسوة السيئة، وهذه الأسوة الحسنة، إنما يسلكها ويوفق لها، من كان يرجو الله، واليوم الآخر، فإن ما معه من الإيمان، وخوف الله، ورجاء ثوابه، وخوف عقابه، يحثه على التأسي بالرسول ﷺ)[2].

٣/ تعميق الصلة بالله تعالى:

وملازمة الداعية للاستغفار تقوي صلته يقوي صلته بالله تعالى، وهذا من أهم ما يلزم الداعية.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن السعدي، تحقيق: د.عبد الرحمن اللويحق، ص٦٦٠.

"والصلة بالله تعالى هي الدعامة الأولى في حياة الدعاة إلى الله تعالى ويرجع السبب في ذلك إلى أن الداعي إلى الله يهدف إلى تعريف الناس بربهم، وتوثيق علاقتهم به، فكيف يتأتى له ذلك إذا كان جاهلا بالله واهي الصلة به. إن فاقد الشيء لا يعطيه، ومن لا يملك نصاباً لا يزكي، ويضاف إلى هذا أن عبء الدعوة ثقيل تعجز قدرة المرء عن تحمله بمفرده بل ويضيع جهده فيها ما لم يصحبه توفيق الله وعونه، وفي الإشارة إلى الترابط بين هذين المعنيين يقول نبي الله شعيب كما جاء في القرآن: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (١)، ولا يتأتى للمرء أن يصحبه توفيق الله ونصرته- وبالتالي نجاحه- ما لم يكن على صلة وثيقة بربه، وعلاقة وطيدة بمولاه"(٢).

وما من شك في أن حسن صلة الداعية بربه تولد في نفسه طاقة هائلة من القوة والحركة يخدم بها الدعوة، وينفع بها الناس.

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: (والصلة بالله هى الأساس الأول في تكوين الدعاة. إذ كيف تدعو الناس إلى أحد، صلاتك به واهية، ومعرفتك له قليلة؟ إن الذين يدعون إلى مرشح من المرشحين

---

(١) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٢) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى "النظرية والتطبيق"، د.طلعت محمد عفيفي، ط/١، دار عالم الكتب: الرياض: ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص٢٩.

أو إلى مبدأ من المبادئ لابد أن تكون أواصرهم بهذا الشخص أو بذلك المبدأ قائمة. ومن ثم لا يفهم بتة أن يتصدى أحد للدعوة إلى الله والأخذ بصراطه، وهو لا يعرف الله ولا يدرى صراطه..!! ولذلك يقول الله جلَّ شأنه: ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا ﴾[1].

وقد عرَّف الله نفسه إلى خلقه في آيات بينات استفاض بها الكتاب العزيز، وفي كلمات نفيسة زخر بها تراث النبوة. والناس يتفاوتون في مدى استيعابهم وفقههم لهذه المأثورات المشرقة بنور الله.. والدعاة– بداهة– أجل المؤمنين نصيباً من هذا النور.. والمهم أن ندرك طبيعة هذه الصلة الإلهية، إنها روح ينفث الحياة، وينبض بالحركة والقوة، ويشيع الضوء والدفء. ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُون ﴾[2]. وهذه الصلة تشمل في موكبها أرقى ما في الحياة، وأكفل أسباب النجاة، ولذلك يرفض الإسلام أي مقارنة تسويها بغيرها. ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ *

(١) سورة الفرقان، الآية: ٥٩.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

وَلَا الظُّلُمَـاتُ وَلَا النُّـورُ * وَلَا الظِّـلُّ وَلَا الْحَـرُورُ * وَمَـا يَسْـتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُور ﴾[1].

وحق على الدعاه- وذلك مكانهم العتيد- ألا يهنوا في الحياة وألا يهونوا. وألا يعدلوا بنسبتهم إلى الله شيئاً. وأن ينظروا إلى الحياة على أنهم أكبر منها.

وأن تغلب رؤيتهم لله كل ما يملأ العين في زحام الأحياء وتكاثرهم، إن وعى الناس للحقائق المبعثرة حولهم يختلف اختلافاً كبيراً. ولما كان العباد قاطبة مكلفين أن يعرفوا ربهم. وأن يؤدوا له حقوقاً معينة، فإن شعورهم به وبحقه، يخالط أعمالهم وأحوالهم، وينزل من نفوسهم منازل بعيدة التفاوت.. وأغلب العامة يقيمون الصلاة مثلاً، والمسيطر على أنفسهم هو ما يقارن كل عادة مأنوسة وكل طريقة مدروسة.. أي شبه الشعور!! لا الوعي الكامل، ولا القريب من الكمال. وقد تتألق في حيوات الناس لحظات ذكر يقظ، وإنابة مخلصة، ثم يستأنفون مسيرهم في دنياهم، وتعفر جبينهم متاعبها ومآربها.. فهل صلة الدعاة بربهم من هذا القبيل؟ لا.. لا.. إن الدعاة الذين يكرسون أوقاتهم لله، ولدفع الناس إلى سبيله، لابد أن يكون شعورهم بالله أعمق، وارتباطهم به أوثق، وشغلهم به أدوم ورقابتهم له أوضح. أي

---

(١) سورة فاطر، الآيات: ١٩-٢٢.

إنهم إن هبطوا من مجال الضوء المشرق. فإلى قريب منه.. إلى منطقة شبه الظل كما يقال. أما إذا سقطوا في عتمة، فإن ذلك أمر لا تتحمله وظيفتهم)[(١)].

"إن أهم ما يجب على الداعية ويعينه على القيام بالدعوة توثق صلته بالله تعالى في يقين وقوة إيمان، مفرغا قلبه لله، متين الارتباط به راسخ التوكل عليه، تام التسليم له، ولكل ما يأتي عن الله ورسوله من غير ارتياب أو حرج ليكون قيامه بالدعوة نابعاً في قوله وفعله عن عقيدة إيمانية راسخة، وصلة وثيقة بالله فينطلق بدعوته من مبدأ تحقيق الغاية التي من أجلّها خلق الله الخلق ألا وهى عبادة الله وحده، قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾[(٢)]، وبالصلة الصادقة مع الله تعالى يرتفع الداعية بنفسه في عقيدته ومنهجه، ويسعي في تحقيق ذلك لغيره"[(٣)].

إن صلة الداعية بربه تعطيه ثباتاً ورسوخاً وصلابة في مواجهة الشدائد والصعاب والعقبات في وقت توحدت فيه الكثير من الرايات لمواجهة الإسلام والنيل منه.

---

(١) مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة، الشيخ محمد الغزالي، ص١٨٩، ١٩٠ بتصرف.

(٢) سورة الذرايات، الآية: ٥٦.

(٣) صفات الداعية الناجح، صالح محمد العليوي، ط/١، دار القاسم، الرياض: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م- ص٢٢.

"إن إيمان الداعي العميق ثابت لا يتزعزع مهما صادفته محنة أو شدة، ومهما كانت حاله من ضعف وقلة، ومهما كان حال الكفرة من قوة ومنعة، حتى لو بقي وحده في الأرض وهكذا كان إيمان صحابة رسول الله ﷺ في جميع أحوالهم لم يتسرب إلى قلوبهم ذرة من الشك في كونهم على الحق، وموصولين بالحق، ويدعون إلى الحق. ولا يضعف إيمان الداعي انصراف الناس عنه وعدم إجابتهم له فلا يدل هذا على أنه مقصر في دعوته ما دام قد أفرغ جهده فالتقصير يعرف- إن وجد- من قلة ما يقدمه الداعي للدعوة لا من عدم إجابة المدعو.

ومثل هذا الإيمان العميق ضروري لكل مسلم وهو للداعي أشد ضرورة في الوقت الحاضر الذي ازدادت فيه محن المسلمين، وعلت فيه شوكة الكافرين وهذا يعطي الداعية دافعا للمزيد من بذل الجهد في سبيل إعلاء كلمة الله، وإعزاز دينه، وتلمس الدواء والعلاج لما آل إليه أمر الإسلام"(١).

وأما السبل والطريق الموصل إلى حسن الصلة بالله، وتقوية الإيمان به فهو أن يذكر الله تعالى على كل أحواله، وحركاته وسكناته، ويحرص على الاستغفار.

---

(١) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ط/٩، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠/ ١٩٩٩م ٣٣٤، ٣٣٥.

"وعلى الداعية أن يكون دائم الحضور مع الله تعالى، دائم الذكر له، ولأجلّه، وأن لا يبتعد عن كل ما يشغله عن ربه ومهمته. إن رغب فبالله وبما عنده، وإن رهب فمن الله، ومن عذابه أن يلجأ إلى الله في كل شيء، وأن يفزع إليه في كل شيء، وأن يجعل الله جلّيسه، وكتابه أنيسه، وجدير بالداعية أن يتأسى برسوله ﷺ فقد تعلق عليه الصلاة والسلام بالله في كل شيء، فهو ذاكره، واثق به، مراقب له، مطيع، خائف، محب، خاشع آناء الليل وأطراف النهار"(١).

٤/ ملازمة الاستغفار دليل الإخلاص:

"إن الداعية المخلص هو الذي يجرد وجهته في عمله ودعوته من أي مطمع دنيوي، ويؤثر رضا الله تبارك وتعالى على من سواه وتحقيق الداعية لهذا الخلق في دعوته يرقى به إلى أرقى المراتب، وأسمى الدرجات، والإخلاص هو الحماية القوية للإنسان من الوقوع في حبائل الشيطان، وإذا كان الإخلاص مطلباً من جميع المؤمنين، وشرطاً من شروط قبول الله للعمل فإن الدعاة إلى الله أحوج الناس إلى هذا الخلق من غيرهم لكونهم اختصوا بحمل أمانة العلم، وشرفوا بالانتساب إلى القرآن"(٢).

---

(١) مرشد الدعاة، الشيخ محمد نمر الخطيب، ط/١، دار المعرفة، بيروت: ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص٢١٦، ٢١٧.

(٢) أخلاق الدعاة إلى الله تعالى "النظرية والتطبيق"، د.طلعت محمد عفيفي سالم، ص٥٧، ٥٨ بتصرف.

ويبين الشيخ محمد الغزالي أهمية الإخلاص في حياة الدعاة إلى الله فيقول:

"الإخلاص روح الدين ولباب العبادة، وأساس أي داع إلى الله، وفي ميدان الدين لا يرتفع عمل أبداً ما لم تصحبه نية صالحة، وما لم يقترن بإرادة وجه الله وحده، والإخلاص فريضة على كل عابد وهو في محرابه الخاص، يتعامل مع ربه فحسب، فإذا اتصل الأمر بالدعاة فهو فريضة أكد وعقدة أوثق، واتساع نطاق العمل، واشتباكه مع أحوال الناس، ورضاهم وسخطهم، وقوتهم وضعفهم يجعل الداعية أحرص على استدامة ذكر الله ومطالعة وجهه حتى لا يضل الغاية، ولا يحيد عن النهج في زحمة هذه الحياة"[(١)].

والداعية الذي يتحلى بالإخلاص في دعوته يؤثر في نفوس المدعوين بموعظته ونصحه، وقوله وفعله.

"ومن أهم صفات الداعية الإخلاص لله في العمل، فلا يطلب على الإرشاد أجراً، ولا يقصد به جزاءً ولاشكوراً من أحد، ولا تحصيل جاه أو شهرة أو سمعة فإن المرشد إنما يكون مقبول النصيحة إذا كان خاليا من الأغراض الدنيوية، أما إذا كان عمله لشيء من هذه الأغراض فلا أثر لقوله في قلوب الناس ألبتة، بل يعمل لوجه الله تعالى وطلباً لمرضاته، وحسن مثوبته، ولا يرى لنفسه منة على من

---

(١) مع الله: دراسات في الدعوة والدعاة، الشيخ محمد الغزالي، ص٢٠٢.

يرشدهم فيجب علينا أن نؤدي الواجب حباً في الواجب، وإطاعة لخالقنا، وتلبية لضمائرنا، وإرضاء لوجداننا، لا إذعانا لسلطان المادة، ولا جريا وراء شهوة نحصل عليها أو مغنم نصيبه، فالداعي حتى يكون وارثاً نبوياً وعالماً ربانياً يجب أن يتحلى بالإخلاص فيي الدعوة إلى الله، وأن يعلم أنه لا يجتمع الإخلاص في القلب، ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس، إلا كما يجتمع الماء والنار"[1].

والداعية الذي يمرن نفسه على الإخلاص، ويربيها على الترفع عن الغايات الذاتية، والمنافع الشخصية يصير الإخلاص ديدنه في أعماله كلها، وتصرفاته جميعها، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [2].

قال صاحب المنار "فتذكر أيها المؤمن أن الذي يوطن نفسه على أن تكون حياته لله ومماته لله، يتحرى الخير والصلاح والإصلاح في كل عمل من أعماله ويطلب الكمال في ذلك لنفسه ليكون قدوة في الحق والخير في الدنيا، وأهلا لرضوان الله في الآخرة ثم يتحرى أن يموت ميتة مرضية له تعالى فلا يحرص على الحياة لذاتها ولا يخاف الموت

---

(١) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، الشيخ علي محفوظ، ط/٥، دار الاعتصام، القاهرة: ١٩٥٢م، ص١١٣، ١١٤ بتصرف.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣.

فيمنعه الخوف من الجهاد في سبيل الله لإحقاق الحق وإبطال الباطل وإقامة ميزان العدل والأخذ على أيدي أهل الجور والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا مقتضى الدين يقوم به من يأخذه بقوة وقد أمر الرسول ﷺ بالتجريد في التوحيد والبراءة من الشرك الجلِّي والخفي فلا يعبد الرب إلا بما أمر دون أهواء الأنفس ونظريات العقول وتقاليد البشر(١).

إن الداعية الناجح في دعوته هو الذي يحرص أن تكون أعماله خالصة لله عز وجلَّ لا يشوبها رياء ولا سمعة ولا منفعة ولا مصلحة ذاتية.

"إن أي عمل لا يتصف بالصلاح والقبول حتى يكون على الشريعة، ويكون خالصاً لله وبناء على هذا فيجب على الدعاة أن يقصدوا من دعوتهم وجه الله وأن تكون جميع تصرفاتهم وأعمالهم وسلوكهم الاجتماعي على وفق شريعة الله، وأن يحاسبوا أنفسهم بشكل دائم وأن يتساءلوا ماذا يريدون من تبليغ الدعوة؟ وماذا يقصدون من دعوة الناس؟ وأن ينظروا إلى أفعالهم هل هي مطابقة لأقوالهم ولسان حالهم؟ فالدعاة إلى الله إذا أدركوا هذه الحقائق ساروا صادقين في درب الإخلاص، ومضوا مخلصين في طريق الدعوة وحقق

---

(١) تفسير المنار، الإمام محمد رشيد رضا، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ١٩٧٣م، ٨/ ٢١٥، ٢١٦.

الله سبحانه على أيديهم إصلاح البشر، وهداية الشعوب، بل الناس يتأثرون بهم ويستجيبون لدعوتهم"[١].

****

---

(١) صفات الداعية النفسية، د. عبد الله ناصح علوان، ط/٤، دار السلام، القاهرة: ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص١٧، ١٨.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد امتن الله سبحانه وتعالى علينا في هذا البحث العلمي، وأثبتنا أن الاستغفار هو سياج الأنبياء والمرسلين عليهم السَّلام، وهو عدة الدعاة على الله إلى يوم الدين، وأنه ما تمسك به قوم إلا سعدوا، وما تخلى عنه قوم إلا حلت بهم المصائب والنكبات.

وأنه لم ينفرد به نبي دون آخر، بل الكل كان على درجة عالية من تحقيقه، وله قسط وافر منه، لأنه عبارة عن صلاح القلوب، وزينة النفس، وزكاة للأعمال، وحري بالدعاة إلى الله أن يتحلوا به، وأن يكون لهم قسط يومي وافر منه كما كان يفعله نبينا محمد ﷺ، لأن ذلك مما يصفي نفس الداعية ويجردها من أدرانها، ويكسبها مرحلة متقدمة في نجاح دعوته، كما أن على الدعاة إلى الله أن يزرعوا في نفوس مدعويهم أهمية استغفارهم الدائم لله سبحانه، لأن الله هو الذي خلقنا ورزقنا ووهبنا جميع النعم، وهو الذي أمرنا أن نطيعه فلا نعصيه، وأن العبد مهما بلغ من حرصه واجتهاده، فإنه خطاء مقصر ملول، وقد جعل الله سبحانه الاستغفار محطة يتزود المؤمن فيها مسح ذنوبه، وتجديد توبته وعهده مع ربه، ومن ثم ينطلق في حياته ليحقق الهدف من وجوده وخلقه، ويعيش يومه في طاعة الله ورضوانه.

وحري بالدعاة أن يحذروا مدعويهم من التخاذل وتناسي الاستغفار خشية أن يقع الران على قلوبهم، لأنه إذا أصيب قلب العبد بالران فإنه لا منجي له إلا الله، والعبد المؤمن هو الأواب الذي لا يصر على معصية ولا يدوم عليها، بل يتمنى أن تكون حياته وسائر أعماله وفق ما يرضي الله تعالى، وعلى هدي رسوله ﷺ.

وفي الختام: أسأل الله تعالى أن يعيننا على أنفسنا بلزوم الاستغفار في سائر أيامنا وأعمالنا، وأن يكون الاستغفار دوما نصب أعيننا، وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

****

فهرس المصادر والمراجع

١.أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر جابر الجزائري، ط/٣، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٢.التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ط/ دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، دون بيانات أخرى.

٣.التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٤.تفسير القرآن العظيم، الحافظ محمد بن إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط/٢، دار طيبة، الرياض: ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٥.تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط/٩، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٦.جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أ.د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/ دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة.

٧.جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي الشهير بابن رجب، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وإبراهيم باجس، ط/٧، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

٨. حلية الأولياء وطبقة الأصفياء، أبو نعيم أحمد عبد الله الأصبهاني، ط/٥، دار الريان: ١٤٠٧هـ.

٩. الزهد، أحمد بن حنبل، ط/ دار الريان، القاهرة: ١٤٠٨هـ.

١٠. سلسلة الأحاديث الصحيحة، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/ مكتبة المعارف، الرياض.

١١. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني الشهير بابن ماجه، حكم على أحاديثه: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، ط/١، مكتبة المعارف، الرياض.

١٢. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، حكم على أحاديثه: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، ط/١، مكتبة المعارف، الرياض.

١٣. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، حكم على أحاديثه: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان، ط/١، مكتبة المعارف، الرياض.

١٤. صحيح البخاري، الإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري، اعتنى به: حسان عبد المنان، ط/ بيت الأفكار الدولية، الأردن.

١٥. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، ط/ بيت الأفكار الدولية، الأردن.

١٦. صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/ المكتب الإسلامي، الرياض.

١٧.ضعيف الترغيب والترهيب، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط/ مكتبة المعارف، الرياض.

١٨.عون المعبود على سنن أبي داود، محمد أشرف بن أمير العظيم آبادي، تحقيق: رائد بن صبري بن أبي علفة، ط/ بيت الأفكار الدولية، عمان.

١٩.فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي وغيره، ط/٢، دار الريان للتراث، القاهرة: ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٠.القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.

٢١.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ط/ دار الفكر، بيروت: ١٤١٢هـ.

٢٢.مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، ط/ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض: ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٢٣.محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ط/٢، دار الفكر، بيروت: ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٢٤.مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، شمس الدين ابن القيم، ط/٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٢٥.المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الرافعي أحمد بن محمد الفيومي، ط/ دار الفكر، بيروت.

٢٦.المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط/٢، مكتبة العلوم والحكم، الموصل: ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

٢٧.معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط/ دار الجيل، بيروت.

الفهرس

المقدمة ٤
المبحث الأول ٧
مفهوم الاستغفار وعلاقته بالتوبة ٧
المبحث الثاني ١٤
دعوة القرآن الكريم والسنة النبوية إلى الاستغفار ١٤
المبحث الثالث... ٢٩
أهمية الاستغفار وفوائده ٢٩
المبحث الرابع ٤٢
حاجة الدعاة إلى الاستغفار ٤٢
المبحث الخامس ٥٠
أثر الاستغفار على الدعاة إلى الله تعالى وثمراته ٥٠
الخاتمة ٧٠
فهرس المصادر والمراجع..................................... ٧٢
الفهرس ٧٦